**جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم**

**مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم**







## كتاب فعاليات المؤتمر الدولي الرابع حول:

# الحوار و دوره في التنمية والسلم

**يومي 14و15 نوفمبر2016**

**قاعة أ.محمد بن شهيدة ، جامعة عبد الحميد بن باديس ، مستغانم(موقع خروبة) الجزائر.**

**تنسيق وإعداد. د. براهيم أحمد**

# الفهرس

# نحو حوار من أجل المشترك الإنساني: تأسيس مقاصدي

**محمد شهيد**

**أستاذ بجامعة محمد الأول، وجدة المغرب**

القضايا الموجعة أولقضايا الحارقة لتي تواجه البشرية تحتاج إلى من يرفع هذا التحدي ويبحث عن الحل المناسب لإخراج البشرية جمعاء والكون كله من هذه المحنة التي لا تبقي ولا تذر. فالمسلمون يعتقدون جازمين أن الحل في دينهم وشريعتهم، ومع ذلك فهم مدعوون إلى تكثيف الجهود وتقويتها مع كل الأطراف القادرة على طرح حلول مناسبة لهذا الوضع الكارثي.

إن الوضع الذي تعيشه البشرية يمكن تلخيصه على الشكل الآتي:'' الأرض واحدة لكن العالم ليس كذلك. ونحن جميعا نعتمد على محيط حيوي واحد للإبقاء على حياتنا. ومع ذلك فإن كل مجتمع، وكل بلد يكافح من أجل البقاء والرفاه من دون اعتبار لأثر ذلك عن الآخرين. والبعض يستهلك موارد الكرة الأرضية بمعدل لن يترك سوى القليل للأجيال المقبلة. وآخرون، أكثر من ذلك عددا، يستهلكون القليل جدا ويعيشون على حافة الجوع، والقذارة، والمرض، والموت المبكر.''[1]

البشرية تسعى إلى الرفاه والعيش الرغيد، وبالموازاة مع ذلك لا تعير أي اهتمام للواقع العالمي من حيث البيئة ومن حيث الحفاظ على الثروات والإمكانات التي تتمتع بها الأرض والكون كله. وهذه هي المعضلة الحقيقية التي يعرفها الإنسان المعاصر.

ومع كل هذا الإفراط في ''التشاؤم'' فإن الله عز وجل وضع في هذا الكون ما يكفي من المبشرات، حتى لا يضيع الأمل في هذا الكون وليبقى التطلع إلى المستقبل حاضرا في النفوس وفي القلوب. من أهم هذه البشائر أن الغرب ليس على قلب رجل واحد، وبمعنى آخر في الغرب من هو مهووس بمصالحه الضيقة دون الالتفات إلى غيره، كما انه فيه الكثير من العاقلين والواعين بخطورة هذا الوضع العالمي. وهذا خيط رفيع يمكن أن يلتقطه العلماء والمتخصصون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في هذا الكون. فالاعتقاد الذي يسود عند الكثيرين والذي مفاده أن الغرب كله شر، وأن الغرب نزاع إلى الفساد وإيذاء الناس دائما، وأن لا هم للرجل الأبيض سوى التدمير وإهلاك الحرث والنسل، وأنه أناني لا يلتفت إلا إلى مصالحه..اعتقاد يحتاج إلى مراجعة وتدقيق. ذلك أن حكمة الله عز وجل اقتضت جعل الناس مختلفين ومختلطين من حيث الطباع والفطرة، فليس كلهم أشرار، كما أنه ليس كلهم أخيار.

إن في عالم الغرب اليوم العديد من الفئات الناقمة على توجهه وعلى نمط عيشه وعلى الاستراتيجيات التي يختارها سواء سياسيا أواقتصاديا أواجتماعيا أوحضاريا..وهؤلاء يعانون ويكابدون ويعيشون ظروفا نفسية صعبة، بل يعيشون غرباء في بلادهم وفي أوطانهم..''فقد انطلقت صيحات الخطر في الغرب تدوي ما يزيد عن قرن من الزمن منادية بتجديد وهدم المنطق الذي يحكم سير الأشياء في حضارتهم. ويمثل هذه الصيحات عدد كبير من المفكرين والفلاسفة والشعراء والكتاب، نذكر من بينهم ألدروس هاكسلي..وجورج أورويل، وديفد هربرت لورنس، وإليوط وطوماس هارديورامبووأندري بروطون وبليز سوندرار وألبير كامي وساmoويل بيكيت..

ويمكننا إدراج بعض الظواهر الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات لغربية ك''الهيبزم''و''البانك'' وباقي الحركات التي تشكل في العمق محاولات للخروج من التاريخ ومن الزمن الغربيين''[2]

وإذا كان الأمر كذلك فالمسلمون يلتقون مع هؤلاء في الكثير من القضايا الحارقة والمهمة في هذا الواقع المرير. فما المانع من الالتقاء بهم والجلوس معهم؟ أليس في مجالستهم وتبادل الرأي معهم تحقيق لمقصد مهم من مقاصد الإسلام؟ أليس في بحث هذه القضايا الموجعة معهم مدخل مهم من أجل تحقيق وصون أحد الضروريات الخمس المتمثل في حفظ النفس مثلا؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم قبل بالدخول في''حلف الفضول'' بدون تردد لما فيه الفائدة والمصلحة للناس أجمعين وليس للمسلمين فقط، ذلك أن الناس بهذا الحلف''..تعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا

---

[1] اللجنة العالمية للبيئة والتنمية:'' مستقبلنا المشترك''،ص:61.

[2] خالد حاجي:''الجغرافيا بين الشاعرية والسياسة نماذج من الفكر الغربي المعاصر'' المنطلق-وجدة- ع:1995/10،ص:60.

قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته''[1] إدراكا منه صلى الله عليه وسلم للأبعاد الحقيقية التي تمتاز بها الشريعة الإسلامية وبالخصوص الكونية والعالمية ولوكان التنزيل هنا على المستوى المحلي فقط. فالنبي صلى الله عليه وسلم محا وحارب بفعله هذا كل تمييز على أساس عرقي وجنسي وعقدي.. خصوصا حين يكون الإنسان مهددا في وجوده بالأساس.

إن العديد من ''حنفاء الغرب'' في الوقت الراهن ناقمين وساخطين على الفلسفة والثقافة التي اختارها الغربيون، فهم قلقون على مستقبل الإنسان وعن المآل الذي ينتظره في المدى القريب. هذا القلق يشتركون فيه مع المسلمين ومثقفيهم وبقي العالم والكون الذي يتهدد مصيره وأصبح الغموض والأسوأ يحف مستقبله. لذلك من المهم للمسلمين في هذه الآونة الحوار مع هؤلاءوإطلاعهم على ما يمكن للإسلام أن يقدمه للبشرية وأن الإسلام يهمه في الأساس مصلحة الناس والكون كله. وهذا مقصد مهم من مقاصد الإسلام، ووسيلة مهمة من الوسائل المؤدية إلى مقاصد أكبر وأهم. فالتعارف مع الناس وبين الشعوب والأمم مقصد مهم ﴿ يأيها ٱلناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكمشعوبا وقبآئل لتعارفوا إن أكرمكم عند ٱللهأتقاكم إن ٱلله عليم خبير﴾ [الحجرات:13]، لكنه غير مقصود في ذاته، بل مقصود من أجل مقصد آخر هوتحقيق التعاون والتكاثف من جل البر والخير وما يفيد البشرية ﴿وتعاونوا على ٱلبر وٱلتقوى ولا تعاونوا على ٱلإثموٱلعدوان﴾ [المائدة:2].

لذلك فإن إصلاح الناس وتغيير واقعهم، لم يشترط الله فيه أن يكون من العرب وحدهم، فلا ينبغي أن ''..نحصر الأمل بالخير في جهة بعينها، ولا ندري شيئا عن سياسة الخالق في إصلاح خلقه، فليس شرطا لصلاح المسلمين أن يبدأ الصلاح بهم، وأن يظهر الخير من أرضهم، وان تكون تباشير صحوتهم بإيقاظ ذاتي يتم فيما بينهم.

قد يتدارك الله هذه الأمة بإصلاح حالها، وإيقاظ، ضميرها، وإعادتها إلى رشد الاعتزاز بدينها، ولكن، لأمر ما، تقتضي حكمته ان يكون المنبه إلى ذلك والدافع إليه، يقظة الغرب من رقدة ضلاله، وصحوته الفكرية والنفسية إلى حقائق الإسلام التي تخر لها اليوم خاشعة جبهة المنطق والعلم.''[2]

ولن يكون هذا البر والتقوى الذي تسعى الشريعة إلى جلبه، وهذا لإثم العدوان الذي تسعى إلى درئه في هذه المرحلة سوى إنقاذ الإنسان من المصير السيئ الذي ينتظره. وهذا البر والتقوى أوالإثم والعدوان من الصعوبة والمشقة العظمى ما لا يستطيع القيام بجلبه أودرئه جهة وفئة دون أخرى، إذ من اللازم التكاثف والتعاون من أجل تحقيق هذا المقصد النبيل.

وقد كان المرحوم رجاء جارودي نبه إلى نوع من الحوار يمكنه أن يؤطر الجلوس والحديث إلى ''حنفاء الغرب''حين قال:''إن حوار الحضارات أصبح ضرورة عاجلة لا سبيل لردها.إنه قضية بقاء. لقد بلغنا حد الخطر.بل لعلنا تجاوزناه.''[3]

كما أن الحوار مع عقلاء العالم والغرب أصبح ''.. فريضة وضرورة لنا،حتى يفهم ما نريد لأنفسنا وللناس، وأننا أصحاب دعوة لا طلاب غنيمة، ورسل رحمة لا نذر نقمة، ودعاة سلام لا أبواق حرب، وأنصار حق وعدل لا أعوان باطل وظلم، وان مهمتنا أن نأخذ بيد الإنسانية الحائرة إلى هداية الله، وان نصل الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والإنسان بأخيه الإنسان، حتى يحب كل امرئ لأخيه ما يحب لنفسه..''[4]

إن المقاصد الشرعية والتنظير المقاصدي يمكن أن يشكل أرضية مهمة للتعامل مع الغرب '' أي على جملة من القيم والأخلاقيات الإنسانية والحياتية، وذلك لاستثمارها في التعايش والتحاور، وفي القيام بالأداء الإسلامي في الداخل والخارج على أحسن وجه. ولنا في مقاصد شريعتنا ما يبرز هذه القيم، ومن ثم نكون قد جعلنا من المقاصد إطارا وفاقيا مع الآخر..''[5]

إن أمام التنظير المقاصدي ومقاصد الشريعة الإسلامية آفاق واسعة ورحبة يمكنه أن يستثمرها بشكل إيجابي ليس فقط على مستوى

---

[1] أبومحمد عبد الملك بن هشام:''سيرة النبي صلى الله عليه وسلم'' تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر-بيروت- 1981، 145/1.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي:''الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟'' دار الفكر-دمشق-ط:1، 1984، ص:8.

[3] روجيه غارودي:''وعود الإسلام'' ترجمةمهدي زغيب،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، 1984، ص:23.

[4] يوسف القرضاوي:'' أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة''، مؤسسة الرسالة-بيروت-ط:13، 1992، ص:175.

[5] محمد بن مختار الخادمي:'' أبحاث في مقاصد الشريعة''، ص:240.

استنباط الأحكام الشرعية التي تيسر على الناس وتسهل عليهم حياتهم وترفع عنهم الحرج والضيق، وإنما في ميادين أخرى تبدوفي غاية الأهمية. ذلك أن التنظير المقاصدي يمكن توظيفه منهجا فعالا في إعادة صياغة العلوم وترتيب أولوياتها وبيان أهدافها ومجال استثمارها.

ولا شك ان التنظير المقاصدي تبدوأهميته القصوى من حيث إنه'' تصور'' أو'' رؤية '' تحيل المشتغل به إلى مرتكزات أساسية في التفكير السليم، ولعل أهمها:

-الكليات: تحيل النظرة المقاصدية والتنظير المقاصدي المجتهد على قضية مهمة تتمثل في بوصلة حقيقية للتصور الإسلامي حتى ينظر إلى الواقع والكون والحياة نظرة كلية بعيدة عن التجزيء. لذلك فالمجتهد باعتماده مقاصد الشريعة الإسلامية يحاول جمع الجزئيات التي تحوم بالنازلة واستقراءها حتى يكون الحكم أقرب إلى الصواب. وبغياب الرؤية الكلية يقع الفقهاء والمجتهدون في الضنك والضيق فيتعسفون في فهم وتفسير القضايا والنوازل وكذلك في قراءة النصوص. لذلك المخرج من هذا التعسف''..اللجوء إلى رحاب الكليات والصيغ الشرعية العامة، التي ما وضعت على الكلية والعموم إلا لتسعف الناس بهديها وحكمها العام، الذي يستوعب ما لايحصى ولا ينتهي من الحالات والجزئيات المتجددة. كما يمكننا بنفس الدرجة من الحجية الاحتكام إلى الكليات الاستقرائية المبنية على مجمل الأحكام التفصيلية''[(1)]

-المآل: يعمل المجتهد جادا على النظر في مصير الحكم الشرعي وما يترتب على تنزيله في الواقع سواء من مصلحة أومن مفسدة ثم يقرر فيما يلائم من حكم ''فالمجتهد إذا أداه اجتهاده إلى التوصل إلى معرفة المصلحة التي من أجلها شرع الفعل أوالمفسدة التي من اجلها منع فإنه يحكم بمشروعية هذا الفعل طالما كان محققا للمصلحة التي قصد بها تحقيقها..''[(2)] وأما إن كان وراءه جلب مفسدة أوتفويت مصلحة أونزول ضرر ..فالمجتهد يحكم بمنعه.

-الواقعية: الاجتهاد والتجديد بالنسبة لأهل التنظير المقاصدي لا ينطلق من فراغ ومن تخيلات وأوهام وأحلام. فهوينطلق من أرض الواقع الذي يعيشه الناس ليلامس همومهم وقضاياهم عن قرب فقد ''.. شهد عصرنا الحالي عدة قضايا ونوازل في شتى مجالات الحياة الطبية والبيولوجية والمالية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية والسياسية والفكرية والنظرية والعالمية والحضارية بوجه عام، والتي كانت أوظلت في منتهى الجدة والحداثة، وفي غاية الغرابة والتعقيد، وفي عمق دقائقها وخباياها، وتعدد خلفياتها وأغراضها ومراميها. .''[(3)]

-الجماعية: ذلك أن القضايا المعاصرة المطروحة أمام العلماء ورجال التنظير المقاصدي متشابكة ومعقدة بشكل كبير جدا، مما يصعب أوفي بعض الأحيان يستحيل ان يكون للفقيه أوالأصولي وحده دور أساس في حسم النقاش لجهة حكم شرعي دون آخر. فالحياة المعاصرة تطورت فيها الحياة بشكل رهيب وتشعبت، وكذلك تطورت العلوم وفرخت تخصصات متعددة. فالفتوى الواحدة قد تحتاج إلى أكثر من تخصص من ذلك المريض، لا يمكن معرفة المرض الذي به هل يحل له الإفطار أم لا؟ فالفقيه أوالأصولي يحدد الحكم الشرعي هنا بناء على موقف الطبيب الثقة. وبعض الفتاوى المتعلقة ببعض المعاملات المالية المعاصرة تحتاج إلى تدقيق علمي تخصصي في علم الاقتصاد حتى يتمكن العالم من البحث عن الحكم الشرعي الذي يناسب المقام..ف''الاجتهاد الجماعي في العصر الحالي ضرورة قصوى ومقصد جليل في حد ذاته، ليس لكثرة المشكلات والوقائع الجزئية التي ليست لها أحكامها فقط، وإنما لوجود الظواهر المعقدة والأوضاع العامة التي هي فوق جزئيات تلك المشكلات والوقائع، ولضخامة حجم الهيمنة الأجنبية التي تركت آثارها في بعض أنماط التفكير والسلوك لدى بعض شعوب الإسلام وأمته، التي هي في أشد الحاجة إلى استفراغ منقطع النظير، ومتابعات قد تفني أعمارا وأحقابا لوتركت لأفراد وأعلام معينين''[(4)]

---

(1) أحمد الريسوني:'' الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية''، دار السلام-القاهرة-ودار الأمان-الرباط-ط:1، 2010، ص:185.

(2) محمد عبد العاطي محمد علي:''المقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي''، دار الحديث-القاهرة- 2007، ص:275.

(3) نور الدين بن مختار الخادمي: ''المناسبة الشرعية وتطبيقاتها المعاصرة''، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-فيرجينيا- ودار ابن حزم-بيروت-ط:1، 2006، ص:327.

(4) نور الدين بن مختار الخادمي:''الاجتهاد المقاصدي: حجيته..ضوابطه..مجالاته''، كتاب الأمة-قطر-ع:166، رجب 1419، س:18، ص:169.